الثورة
الجمعة 4 رجب 1433هـ 25 مايو 2012م العدد (17356)

بنت الذكرى

حسن عبدالله الشرفي

طالعتني مثل انسكاب الغَمَامَهْ
مـــرّةً وردة، وأخـــرى حمـامـهْ
مـــرّةً هـاجـسـاً، تـقـول الـدوالـي
أنـــه مـن كـؤوسـهـا المستـهـامـهْ
مـــرّةً مـثـل نجـمـة الـصـبـح مـدّت
نـاهـديـهـا لـنـفـسـهـا الـلـوّامـهْ
وأنـــا فـي المـخـاض فـنـجـان بـوحٍ
وســـؤالٌ بـلـون ريـش اليـمـامـهْ
○ ○ ○ ○
ولأن الـقـصـائـد الـــزرق مـــرّت
مـن أمـامـي، قـامـت عـلـيّ القيامهْ
فـانـتـظـر فـي هـنـاك حـيـث تـراهـا
قـاب قـوس مـن »نـظـرةٍ فابتسامهْ«
ثـم دع لـي مـا شـئـت مـن أمـنـيـاتـي
سـارحـات عـلـى طـريـق الـسـلامـهْ
قـــال لـــي سـيـد المـجـانـيـن حـــاوِل
أن تـراهـا بـالـقـرب مـن »ريم رامـهْ«
رَدّنـــي صـاحـبـي لِمَـا بـعـد هـنـدٍ
وسُـــعـــادٍ وزيـــنـــبٍ وأُمـــامـــهْ
وأنـــا أيـــن؟ إنـــنـــي حـيـثُ يـدري
زنـد عَـمْـرو، وتـعـرف الـصـمْـصَـامـهْ
قـلـت لـلـحـب، لا عـدمـتـك حُـبّـاً
لـم يـخُـن غـيـمـهُ ولا أغـنـامـهْ
عـشـق الـنـخـل مـرتـيـن، وظـلـت
نـفـسـه فـي ظـلالـهـا حـوّامـهْ
زمـنـي مـرّ مـن هـنـا، وبنفسي
بـيـت شـعـرٍ هَـنْـدَسْـتُـهُ فـي تهامهْ
ثـم قـالـت عـيـونـه لـلأعـالـي
خـذ لـصـنـعـاء مـن حبيبي عـلامهْ

صنعاء 15 – يونيو2011 م

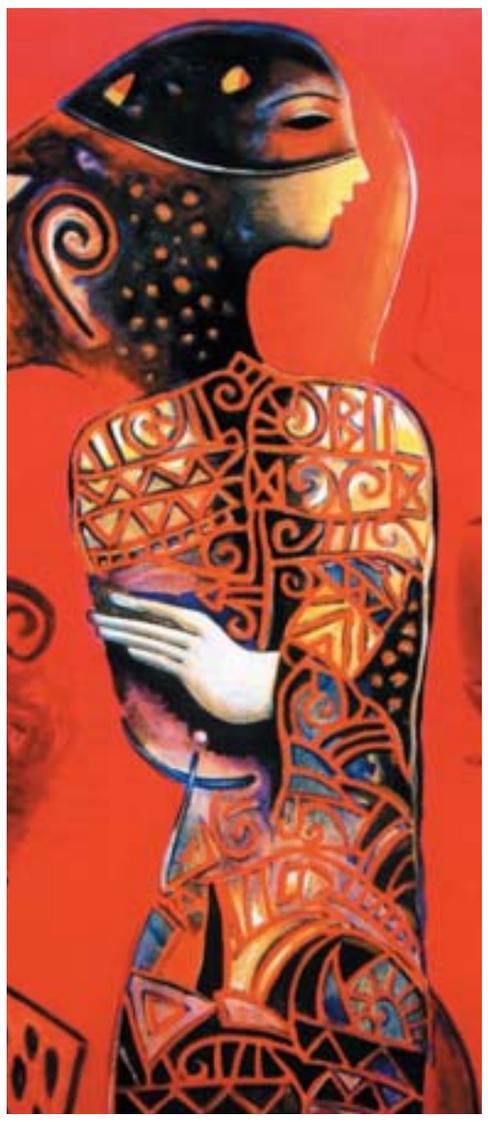

«أساتذة اليأس».. والنزعة العدمية في الأدب الأوروبي

● أبوظبي– أصدر مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للسياحة والثقافة كتاب «أساتذة اليأس.. النزعة العدمية في الأدب الأوروبي» للكاتبة الفرانكو– كنديّة نانسي هيوستن. أنجز الترجمة بالعربية عن الفرنسية وليد السويركي.

تتتبّع نانسي هيوستن في هذا الكتاب تطّور النزعة العدميّة في الأدب الأوروبي منذ القرن التاسع عشر حتّى الكتابات المعاصرة، فتتفحّص بدايةً الأساس الفكريّ والنظري الذي يستند إليه كتّاب العدميّة الغربيّين انطلاقاً من فلسفة التشاؤم عند آرثر شوبنهاور الذي تسمّيه «بابا عدم». ثم تستخلص عبر فصول الكتاب العناصر البيوغرافية والفلسفية والأسلوبيّة التي تجمع بينهم، وتقدّم قراءتها الشخصيّة الناقدة لأبرز أعمال بعضهم «صامويل بيكيت، اميل سيوران، ميلان كونديرا، ايمره كيرتش، توماس بيرنهارد، الفريده يلينيك، ميشيل ويلبيك، كريستين آنجو، ساره كين وليندا لـي»، وهـي قـراءة تتميزّ بقدر كبير من الجرأة والاختلاف، لا تتردّد في الخروج على الإجماع النقدي والجماهيري الذي يحظى به هؤلاء الكتّاب.

تحيل الكاتبة نشأة الفكر العدميّ إلى عدة عوامل منها تزعزع المسلمّات اليقينية حول مكانة الإنسان ودوره في الكون، مع مطلع الحداثة في القرن السابع عشر، ثم «أزمة الذكورة» الناجمة عن تحرّر المرأة وتحولات الأدوار الاجتماعية للجنسين، و أخيراً ما نجم عن الحرب العالمية الثانية من فظائع قادت إلى أزمة أخلاقية وروحية كبرى في أوروبا المعاصرة.

وتخوض هيوستن سجالاً حادّاً ضدّ الرؤية العدميّة الأحادية للعالم، من موقع نسويّ يرفض الجذريّة السوداويّة، لصالح وعي نقديّ جدلي ينحاز للحياة بكلّ تناقضاتها، بأفراحها ومآسيها، ودون أن يسقط في فخّ لتبشير بالأوهام الزائفة والأحلام الجميلة والآمال الخادعة.

تهاجم المؤلفة الفكر العدميّ الذي يستعيد قيماً دينية ثنائية من الثقافة الغربية القديمة، مثل التعارض الجذري بين الجسد والروح، والانتقاص من قيمة الجسد والإنجاب، والمبالغة في الإعلاء من قيمة الروح، وكره المرأة بوصفها تجسيداً للحياة الحسيّة . ولا تتردّد في كسر أحد التّابوهات النقدية التي فرضتها البنيوية والشّكلانية اللتان سيطرتا على الآداب في فرنسا، ألا وهو الربط بين حياة الكتّاب وتأثيرها «المحتمل» في مضمون كتاباتهم وشكلها. وهي ترجع عودتها للمنهج البيوغرافي إلى التشابه الكبير الذي وجدته بين السير الذاتية المختلفة لهؤلاء الكتّاب والمسلّمات العدمية في أعمالهم.

وتكشف المؤلّفة كيف أن المبالغة في السوداوية، والتبشير باليأس، سواء صدرا عن موقف وجودي حقيقي أم عن تصنّع وافتعال، قد باتا وصفة ناجحة لضمان نجاح الأعمال الروائية في الغرب؛ «فبما أن العبقرية هي دائماً ضرب من التجاوز، فإنّه غالباً ما ينظر لتطرف الكتاب العدميّين على أنّه علامة من علامات العبقريّة».

لكن هيوستن تشدّد في أكثر من موضع على أنها لا ترفض التعبير عن الألم واليأس في الأعمال الفنية بل أن يتم تحويلهما إلى نسق فلسفي أحاديّ يتأسس على القطيعة بين الإنسان والعالم . وبين الإنسان وأخيه الإنسان، فيتمّ التنكر لكل ما يمثل صلة حقيقية بالآخرين كالأمومة والأبوة والصداقة، والعواطف الإنسانيّة. وفي سياق محاججتها ضدّ

من مواليد كالغاري « كندا». تعدّ إحدى أهمّ الروائيات المعاصرات باللغة الفرنسية، درَست في الجامعات الأميركية قبل أن تنتقل إلى فرنسا حيث أعدّت أطروحة تحت إشراف رولان بارت. تعيش في باريس منذ العام 1973 برفقة زوجها الناقد والمفكر المعروف تزفيتان تودوروف. تكتب باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتترجم نفسها في الاتجاهين. لها مايزيد عن ثلاثين كتاباً تتوزع على الرواية والمسرح والدراسات النقديّة وأدب الأطفال. نالت العديد من الجوائز من أبرزها الجائزة الكندية– السويسرية عن روايتها « نشيد السهول» 1993، جائزة ليفر –انتر عن « أدوات الظلام» 1996، وجائزة فيمينا الفرنسية عن «خطوط التصدّع» 2006 ، كما حصلت على دكتوراه فخريّة من جامعتي ليّج البلجيكيّة ومونتريال الكنديّة.

قام بنقل الكتاب إلى العربية وليد السويركي وهو شاعر ومترجم من الأردن، مواليد 1967 في الجفتلك–فلسطين. عمل مدرّساً للأدب الفرنسي في جامعة اليرموك– الأردن من 1996إلى 2008. أصدر مجموعته الشعرية الأولى» أجنحة بيضاء لليأس» عام 2006 ،عن دار فضاءات–عمّان. له في مجال الترجمة :اللانظام العالمي الجديد، تزفيتان تودوروف، دار أزمنة 2005، بعيداً عن البشر، باسكال ديسان المؤسّسة العربية للدراسات والنشر،2007 طردت اسمك من بالي، أمبرتو أكابال، دار أزمنة،2009. وروايتان ضمن مشروع «كلمة» للترجمة: في خانة اليْك «ايوجين» و ما كنت لأوذي ذبابة «آن –ليز غروبيتي»،2010 . هذا إضافة إلى العديد من الترجمات الأدبية التي نشرت في دوريّات وصحف أردنية وعربيّة.

الفكر العدميّ، تعرض لأعمال الكاتبة الفرنسية شارلوت ديبلو والكاتب النمساوي جان أمري بوصفهما نقيضين لأساتذة اليأس، حيث ظلّا على إيمانهما بالحياة بالإنسان على الرغم مما تعرّضا له في معسكرات الاعتقال النازيّة من ألوان العذاب. وكما في أعمالها الأخرى تمزج هيوستن بين التأمل النظري والسرد التخيّيلي،حيث جعلت بين فصول الكتاب التي تتناول المؤلفين الذين درستهم، فواصل حكائية وحوارية مع شخصيّة متخيّلة، تعزّز من وجهة نظرها وتجعل من قراءة هذا العمل متعة فكرية حقيقية ورحلة أدبية شائقة.

المؤلفة نانسي هيوستن روائيّة، ناقدة، وموسيقيّة،

قصة قصيرة

المفتاح

حامد الفقيه

● الإهداء: لـ (ثلاثاً وستين) عاماً من أمل العودة والحنين، ومواويل السمر ، وحنين الشوق لصفرة البرتقال، ومنقوشة الزعتر ، وزرقة سماء طبريا والقدس. لعقيدة قذف الحجارة، وربط الإزار ؛ لزرع الشجر، وغرس نبتة الزيتون الأخضر.

يجلس الحاج (فـراس) الشامسطي البالغ من العمر(ثلاثة وسبعين) عاماً على ربوة تشرف على مخيم « عين الحلوة » الفلسطيني بـ(لبنان) ، وعين الشمس تتدحرج على وجه السماء الغربي ، ويجمد نبضها الجو البارد وصفير الرياح .

أمـامـه المـخـيـم ممتد بخيامه البيضاء المتراصة كنعش ضخم الصنعة .

ينظر تـارة فـي وجـه الشمس الدانـي نحـو الـغـروب ، وتـارة أخرى نحو أطفال المخيم الذين يتسابقون على الاقتسام إلى فريقين ؛ كـي يلعبوا و يحملوا هَـمَّ غـروب الشمس عنهم قبل اقتسامهم للّعب .. ..

يحملق في احمرار الشفق فيتذكر احمرار سماء القدس قبل ستين عاماً حين كان في سن الفتوة ، يوم مقدم سرطان هدد فتوّته .

يظل هكذا على الربوة يناجي النجوم المؤنسة ، ويسائلها عن بيته في (دير ياسين) قضاء (صفد) . يناجي – عبر نسيم الليل البارد – غصن الزيتون ، ويرجوه أن يتمايل أمام ناظريه حال عودته . يرسل شهقة إلى رئتيه الجافتين الملتهبتين، وهو يتأمل نبتة الزعتر ويرجو رائحتها أن تشاغب أنفه وصولاً إلى رئتيه.

يمد يده أمامه وهو فاتح قبضته ، ويتوسل صفرة البرتقال أن تنعم يده بملمسها . يستجدي جدار منزله أن يسند ظهره وهو عائد من جهد يوم العودة .

ينشر الفجر نوره وترسل الشمس شعاعها ، وتقطع على الحاج (فراس) سهرته مع (البيارة والمنزل) .

ينظر بعد وضوح المخيم ، وخروج أبنائه لطلب الماء ، وتراصهم حول بئر المخيم ، وتدافعهم ؛ ليدركوا دوامهم المدرسي.

يأكلون فتات الخبز المتبقي من اليوم الفائت بعد أن خبأته أمهاتهم في خواصرهن بجوار المفاتيح.

ارتفعت الشمس رمحاً في وجه السماء المكسف جمالها . يمسك الحاج (فراس) بركبتيه ، ويستجمع بقايا قوته ؛ لينهض وظهره المنحني يأبى أن يستقيم .

يعزف أحد مواويل المخيم بصوته الجهوري ، ودمعه الهتون ، وجسده المرتعش قائلاً :

(صامد لا مأوى ولا بيتْ .. . صامد لكن ما تخليتْ
(ع جراحي) والله شديتْ .. .. حتى نكمل ها المشوار
صامد صامد يا دار ... صامد رغم الحصار)(1).

يسمعه كل أبناء المخيم ، وأمهاتهم الحنونات ، ينزل من على الربوة نحوهم فيجتمعون أمامه ؛ ليخبرهم قائلا :

لن تذهبوا إلى المدرسة اليوم أيها الفتيان ، لأني من سيعطيكم درس اليوم بل درسكم الأبدي .

يتقدمون نحوه ، وهم يحملون قبضاتهم الواحدة تشد الأخرى ، فيخرج المفتاح من خاصرته ، ويقبض على أيديهم والمفتاح معاً ، ويلقنهم درسهم :

لن يسقط المفتاح .

فيرددون بصوت واحد وراءه :

لن يسقط المفتاح .

ويرفعون المفتاح فوق رؤوسهم ، حينها تتهاوى قوى الحاج (فراس) ويسقط على أرض المخيم ، فيحملونه على نعش المخيم الأبيض ليدفنوه ويعودون حاملي المفتاح ،

وهم يقسمون : لن يسقط المفتاح.

hamedalfaqee@yahoo.com

ليلة باردة

نبيهة محضور

● بدا الليل يسحب رداءه من على وجه المدينة.. وضوء النجوم يتلاشى مع إطلالة خيوط الصباح الأولى، بعد ليلة شتوية من ليالي كانون الباردة التي عصفت بزمهريرها الأجواء، قرص الشمس يتهادى رويداً رويدا.. متسللاً عبر زجاج النافذة، محاولاً عبور تلك الستائر الزاهية الألوان.. في غرفة زينت زواياها بأجمل الألعاب، هناك على ذلك السرير، كان ينام محمد على فراشه الوثير الدافئ، بكل هدوء، تدخل أم محمد.. اقتربت من الستائر، أزاحتها جانباً، انحنت عليه قبلته.. وبصوت حنون هتفت في إذنيه:

– بني استيقظ، إنها السابعة صباحاً.

– صباح الخير يا أمي، لقد كانت ليلة باردة.

– حقا إنها كذلك يا بني.

– هيا لتستعد للذهاب إلى المدرسة.. ريثما أحضر لك كأساً من الحليب الدافئ.

– حسناً يا أمي.

لحظات ومائدة الإفطار عامرة بالبيض والجبن والمربى والخبز..

تناول محمد إفطاره.. وإذا بباص المدرسة يعلن عن وصوله.

– هيا يا محمد لقد وصل باص المدرس أحضر حقيبتك وارتد معطفك من البرد وعلى الباب قبلته أمه بحنان، قائلة له «في رعاية الله يا بني» فجأة استيقظ محمد، على صوت أمه الضعيف الكسير! وهي تقول له: «قم يا بني قد أحنا الصبح، لاتتأخر على العمل والله لا يفعلنا عمك يوم جن» يستيقظ محمد محدثاً نفسه، يا له من حلم جميل، ينهض من فراشه الذي يتقاسمه مع إحد إخوته بثيابه المهلهلة، ويلقي نظرة عميقة بعينين مليئتين بالحسرة في زوايا غرفته التي تزدحم بإخوته، وليس بلعبه والتي يكسوها الجوع والألم، لأسرة فقدت عائلها، وتحمل محمد ذو الربيع العاشر مسؤولية إعالتهم.

تقدم له أمه كسرة خبز، وكأساً من الشاي، يتناوله في عجل، ويغادر منزله مسرعاً لمحل عمله، وأثناء وجوده تحت سيارة ليصلحها، يمر بالقرب منه باص المدرسة التي طالما حلم بها.

اصدارات ثقافية

الفجوة بين اللغة ومجسداتها في 'سياسة الأدب'

● يفترض الكاتب جاك رانسيير في كتابه سياسة الأدب وجود صلة جوهرية بين السياسة بوصفها شكلاً خاصة من الممارسة الجماعية والأدب بوصفه ممارسة محددة لفن الكتابة مؤكداً على أن المصطلح الذي يدور حوله العنوان لا يتعلق بسياسة الكتاب أو التزاماتهم الشخصية في الصراعات السياسية والاجتماعية لعصرهم وأيضاً لا علاقة له بطريقة تصويرهم للبنى الاجتماعية أو الحركات السياسية في كتبهم.

وينتقل المؤلف في كتابه الصادر عن وزارة الثقافة السورية بترجمة سهيل أبو فخر إلى "الالتباس الأدبي" على أنه سمة العصر نتيجة الدلالات المختلفة والفجوة الواضحة بين اللغة ومجسداتها وما ينجم عنها من سوء التقدير نتيجة استعارات الكتابة ولاسيما أن الأدب يقوم بقراءة الدلالات المكتوبة على الأجسام والأشياء في عالمنا المشترك ومن جهة أخرى يحررها من تلك الدلالات التي أرادوا تحميلها التبعة.

كما يتساءل رانسيير عن أسباب مقتل إيما بوفاري مع أنها انتحرت في الرواية التي كتبها الفرنسي جوستاف فلوبير بسبب الديون التي أثقلت كاهلها بعد مغامراتها الخارجة عن إطار الحياة الزوجية لكن سؤال الفيلسوف الفرنسي فيه تسليط ضوء على الضرورة الخيالية لفلوبير التي ألهمته أن يجعل تلك الشخصية تخلط بين حياتها الواقعية والأدب.

ويقول صاحب كتاب "المتفرج المتحرر" في فصل "تولستوي والأدب والتاريخ".. إن فلسفة التاريخ ليست جسماً غريباً مضافاً إلى مسيرة الخيال وفن الأدب فالأدب هو الذي يتحدث بنفسه عندما يعارض ما بين تاريخ القادة الكبار وتاريخ الجموع فوجهة النظر الخاصة بالأدب هي التي تضعها الرواية مقابل وجهة نظر المؤرخين الذين يكتبون المعركة من جديد ما إن تنتهي في حين أن للأدب مستندات أخرى (كما يبين تولستوي) للذين عاشوا أحد تلك الأحداث الصغرى التي يشكل تداخلها غير المتوقع ما يسمى بالمعركة.

أما المسألة الشعرية فتتماثل في سياسة الأدب مع المسألة السياسية عبر تناول الكلمة كصيغة مكونة للمجتمع وعلى اعتبار الكتابة هي الحركة المادية غير العاقلة التي تتمتع بالمعنى والتي تحول الكلمات إلى أنماط وجود مسجلة بذلك شيفرة المجتمع ومحددة أبعاد وتوجهات الفضاء المشترك والعلاقة بين نظام العمل ونظام الفكر ونظام المبادلات الاقتصادية والتكامل الجمالي بينهما.

ويؤيد رانسيير برتولد بريخت في فصل "المعرفة السعيدة لدى بريخت" على الحاجات المادية التي لا أخلاق بدونها مع ضرورة الفصل بين هذين النوعين من الحاجات وهو ما يؤدي في الوقت ذاته إلى التضاد بين الأخلاق والفائدة السياسية وإلى تزعزع الصلة ما بين الأخلاقي والاقتصادي ما يضع ممثل المسرح أمام نوع آخر من إنتاج العلاقات بغية إثارة مساهمة الجمهور في التبادل المنتج أكثر من وضعه في موقع الفعل المناضل عبر إثارة الوعي.

كما يعالج الفيلسوف الفرنسي ما أسماه العيب الفرنسي في الأدب عبر علاقته مع الأديب الأرجنتيني بورخيس الذي يرى أن الواقعية الفرنسية هي التضحية بكمال الحبكة لصالح غزارة التفاصيل مانحاً ميزة للأدب الأرجنتيني في أنه على النقيض من الفوضى الأدبية الفرنسية يسعى وراء تقليد أدب كوني يقوم على أولوية الإبداع والتنظيم دون اهتمام بعودة النظام الشعري الجميل للأدب الفرنسي وبلا أي اهتمام بوضع المنطق القديم لصراع الإرادات والمشاعر مقابل الفوضى الديمقراطية للحياة اليومية التافهة، مؤكداً بشكل أساسي على القوة الفريدة للحكاية ذاتها دون أي شيء آخر.

ويجري رانسيير تقاطعاته بين الأدب والتحليل النفسي عند فرويد وبين الفلسفة والشعر عند مالارميه وباديو مؤكداً أن الأدب هو معرفة المجتمع وخلق ميثيولوجيا جديدة بصورة لا تنفصم مطلقاً وفق نظام دلالة جديد يجرد إرادة المعنى والكلام الفاعل من مزاياهما محدداً مسافة فاصلة أيضاً عن المشهد السياسي كما يقوم أيضاً على فك رموز الشهادات التي يقدمها المجتمع نفسه ومن أجل نبش الشهادات التي يطمرها في أعماقه المظلمة بلا قصد ولا دراية منه بقصد السفر إلى الأغوار التي تحوي الحقيقة الخبيئة.

يذكر أن هذا الكتاب الذي جاء في 240 صفحة من القطع المتوسط عبارة عن توليفة قام بها رانسيير لمجموعة نصوص من الدراسات المتفرقة نشرها في مجلات أو ألقاها في ندوات ولقاءات علمية خاصة في الفترة الواقعة بين عامي 1979 و2006 مدخلاً عليها مجموعة من التعديلات لتصب في السياق الأدبي الذي أراده.(سانا)

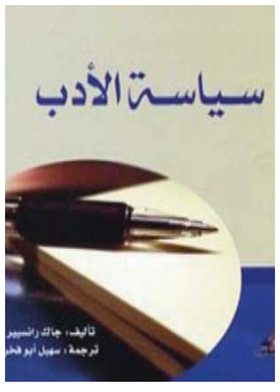

أدب الرحلات في ربيع المسافات

■ القاهرة –صدر حديثا عن مؤسسة «شمس» للنشر والإعلام بالقاهرة، كتاب للأديبة الفلسطينية المقيمة في المهجر دينا سليم؛ بعنوان «ربيع المسافات.. رحلة إلى القارة الأسترالية».

وهذا الكتاب من أدب الرحلات ويستعرض تجربة شخصية للأديبة، ويقع في 212 صفحة من القطع المتوسط، وتستعرض فيه المؤلفة تفاصيل رحلتها المسكونة بالغرائب.

وتقول الأديبة سليم في مقدمة الكتاب: «حاولت بقدر الإمكان أن ألم بكل المعلومات والأماكن التي غامرت باكتشافها، علما بأني لم أكتف بمشاهدتي البصرية، واستعنت بالكثير من المصادر».

من جهته، قال الأديب والكاتب الصحفي عبد الوهاب طالباني، المقيم أيضا في أستراليا، عن الكتاب: «هذا النص الأدبي الذي بين أيدينا ليس من جنس الرواية، إنها قصص ومشاهدات وبينها دائما خيط رفيع من وحدة الموضوع، ولكنه ليس كما في الرواية، كما لا يعتبر هذا النص ملاحظات سائح في جغرافيا المكان، إنما هو نوع متفرد في الكتابة الإبداعية تدون رؤية الكاتبة للأحداث وإحساسه بالأمكنة والأشخاص، مع ملاحظة ظلال ارتباط بين كل ما اكتشفته من أماكن وأسماء وتواريخ، عبر صياغات لغوية أخاذة تعتمد في أحيان كثيرة جملا وفقرات هي بحد ذاتها شعرية».

دينا سليم روائية وقاصة فلسطينية تقيم في أستراليا، تكتب القصة والمسرح والرواية، وتكتب في العديد من الصحف العربية والعالمية، وصدر لها من قبل خمس روايات هي «الحلم المزدوج»، و«تراتيل عزاء البحر»، و«سادينا»، و«الحافيات»، و«قلوب لمدن قلقة»، ولها رواية قيد النشر بعنوان «دائما معا».«وفا»